استرجاعات الإمام القرطبي في تفسيره، وأثرها على الأمن المجتمعي

إعداد

د. محمد ممدوح

أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب جامعة المنيا

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث مفهوم "الاسترجاع" (قول: إنا لله وإنا إليه راجعون) عند الإمام القرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن"، مُبرزًا دلالاته العميقة في تشخيص أمراض الأمة وتأثيرها على الأمن المجتمعي. لا يقتصر الاسترجاع لدى القرطبي على المصائب الفردية، بل يمتد ليشمل قضايا جوهرية كتحريف النص القرآني، تحريف الدين، التناحر الداخلي، تعطيل الجهاد، والفساد الاقتصادي والمالي، ويهدف البحث إلى إظهار كيفية استخدام القرطبي لهذا التعبير كأداة نقدية وتحذيرية، تعكس فهمه العميق لربط النصوص الشرعية بواقع الأمة. يُحلل البحث مواطن الاسترجاع في التفسير، مُستنبطًا منها رؤى القرطبي في صيانة الأمن الفكري (بتحصين العقيدة، وحماية القرآن والسنة من التحريف)، والأمن الاجتماعي (بنبذ التناحر، وحفظ وحدة الصف، ومكافحة الفساد، والقيام بواجب الجهاد الشامل)، ويعتمد البحث المنهج التحليلي الاستنباطي، لتتبع وتحليل هذه الاسترجاعات وربطها بمفهوم الأمن المجتمعي. يتوقع أن يُظهر البحث أن منهج القرطبي يُقدم حلولًا أصيلة للتحديات المعاصرة، مؤكدًا أن صلاح الأمة وسلامتها مرهونان بالالتزام بمقاصد الشريعة والعودة إلى منابعها الصافية. يُوصي البحث بتفعيل هذه الرؤى في معالجة القضايا الراهنة، وتعزيز الوعي بمسؤولية الأمة في الحفاظ على أمنها الفكري والاجتماعي عبر التمسك بقيمها.

الكلمات المفتاحية: (الاسترجاعات–الإمام القرطبي–الأمن المجتمعي)

Abstract

This research examines the concept of "Istirja'" (the utterance: "Indeed, we belong to Allah, and to Him we shall return") as expounded by Imam al-Qurtubi in his seminal exegesis, Al-Jami' li Ahkam al-Qur'an. It highlights the profound implications of this expression in diagnosing the ailments afflicting the Ummah (Muslim nation) and their impact on societal security. Al-Qurtubi's application of Istirja' extends beyond individual calamities to encompass pivotal issues such as the distortion of the Quranic text, corruption of religious principles, internal discord, the abandonment of Jihad, and widespread economic and financial corruption. The study aims to demonstrate al-Qurtubi's utilization of this phrase as a critical and cautionary tool, reflecting his deep understanding of how to connect foundational Islamic texts with the lived realities of the Ummah. Through an analytical-inductive methodology, the research scrutinizes instances of Istirja' within al-Qurtubi's commentary, extracting his insights into preserving intellectual security (by fortifying creed and safeguarding the Quran and Sunnah from distortion) and societal security (by rejecting internal strife, upholding unity, combating corruption, and fulfilling the comprehensive obligation of Jihad. It is anticipated that this research will reveal al-Qurtubi's methodology offers authentic solutions to contemporary challenges, underscoring that the rectification and well-being of the Ummah are contingent upon adherence to the objectives of Islamic law and a return to its pristine sources. The study concludes with recommendations for activating these insights in addressing current issues and fostering awareness of the Ummah's responsibility to maintain its intellectual and societal security by upholding its core values.

Keywords: Istirja', Imam al-Qurtubi, Societal Security

مقدمة:

تُعَدّ قضايا الأمن المجتمعي من المحاور الأساسية التي تُعنى بها المجتمعات على مر العصور، لما لها من أثر بالغ في استقرار الدول ورفاهية الأفراد. وفي ظل التحديات المعاصرة المتزايدة، التي تتراوح بين الأزمات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية، يصبح لزامًا علينا العودة إلى الأصول المعرفية الأصيلة واستلهام رؤى العلماء الراسخين الذين أدركوا بعمق طبيعة هذه التحديات وكيفية مواجهتها بمنهج شرعي متكامل.

ويبرز هنا الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، صاحب "الجامع لأحكام القرآن"، بصفته نموذجًا للعالم الغيور على أمته، الذي لم يكتفِ بتفسير النصوص الشرعية، بل ربطها بواقع عصره، منبئًا ببعض الأخطار المستقبلية. لقد تميز منهج القرطبي باستخدامه لـ"**الاسترجاع**" (قول: إنا لله وإنا إليه راجعون) في مواطن متعددة من تفسيره، ليس فقط عند المصائب الفردية، بل عند رصده لانحرافات خطيرة تمس جوهر الدين وسلامة المجتمع. هذا الاسترجاع لم يكن مجرد دعاء، بل كان تعبيرًا عن ألم عميق، وتحذيرًا شديدًا من تداعيات هذه الانحرافات على الأمن الفكري والاجتماعي.

أهمية البحث

<u>تنبع أهمية هذا البحث من عدة جوانب:</u>

- تجديد الرؤى: يُقدم البحث رؤية متجددة لمفهوم الأمن المجتمعي من منظور قرآني، مستفيدًا من عمق فهم الإمام القرطبي لربط النصوص الشرعية بالواقع المعيش.
- معالجة قضايا معاصرة: يتناول البحث قضايا حيوية تلامس صميم التحديات التي تواجه المجتمعات المعاصرة، مثل تحريف النص الديني، التناحر الداخلي، تعطيل الجهاد، والفساد الاقتصادي والمالي، مقدمًا مقاربة شرعية لعلاجها.
- إبراز منهج القرطبي: يسلط الضوء على منهج الإمام القرطبي الفريد في الاستدلال والاستنباط، وكيف استخدم "الاسترجاع" كأداة نقدية وتحذيرية تعكس بصيرته في تشخيص أمراض الأمة.

– تعزيز الأمن الفكري والمجتمعي: يهدف إلى ترسيخ أهمية صيانة النص الديني، وحدة الصف، إقامة الجهاد بمفهومه الشامل، ومكافحة الفساد، كركائز أساسية لتحقيق الأمن الفكري والمجتمعي الشامل.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي الاستنباطي، وذلك من خلال:

– الاستقراء: تتبع مواطن "الاسترجاع" في تفسير الإمام القرطبي، وحصر السياقات التي ورد فيها هذا الاسترجاع.

– التحليل: تحليل أقوال الإمام القرطبي وبيان مقاصده من هذه الاسترجاعات، وربطها بمفهوم الأمن المجتمعي بجانبيه الفكري والاجتماعي.

– الاستنباط: استنباط الدلالات والنتائج المستفادة من فهم القرطبي لهذه القضايا، وكيف يمكن تطبيقها في معالجة التحديات المعاصرة.

خطة البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي الاستنباطي، وذلك من خلال:

يتكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين رئيسيين وخاتمة:

- **المبحث الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث: ويتناول خمسة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف الاسترجاع (لغة واصطلاحًا)، مشروعيته، ومواطنه، وحكمه.

المطلب الثاني: التعريف بالإمام القرطبي (ترجمة مختصرة).

المطلب الثالث: تعريف الأثر (لغة واصطلاحًا).

المطلب الرابع: تعريف الأمن المجتمعي (لغة واصطلاحًا).

- **المبحث الثاني: الأثر المقاصدي لاسترجاعات الإمام القرطبي على الأمن المجتمعي:**

ويتناول ستة مطالب، تُفصّل فيها مواطن الاسترجاع وأثرها على الأمن المجتمعي:

المطلب الأول: استرجاع الإمام القرطبي عند تحريف القرآن وتلاعب القراء بأصواتهم.

المطلب الثاني: استرجاع الإمام القرطبي عند تحريف الدين.

المطلب الثالث: استرجاع الإمام القرطبي عند التناحر الداخلي والانحراف عن المنهج النبوي.

المطلب الرابع: استرجاع الإمام القرطبي عند تعطيل الجهاد.

المطلب الخامس: تأصيل القرطبي لأسباب النصر وربطها بالأمن المجتمعي.

المطلب السادس: واجب نصرة المستضعفين وحماية الأمن المجتمعي.

- **الخاتمة:** وبها أهم نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول

التعريف بمفردات عنوان البحث

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاسترجاع، ومشروعيته ومواطنه:

الاسترجاع لغة: بمعنى رجع وانصرف والألف والسين والتاء للطلب. واسترجعت منه الشيء: إذا أخذت منه ما دفعته إليه. واسترجع الرجل عند المصيبة: قال: إنا لله وإنا إليه راجعون [١].

واصطلاحًا : هو أن يقول الإنسان: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ لإظهار المصيبة [٢].

(١) تاج العروس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الزَّبيدي المحقق: الناشر: دار الهداية (٢١/ ٧٦)،المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ال٨ناشر: دار الدعوة (١/ ٣٣١)، معجم لغة الفقهاء محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م (ص: ٦٠).

ومشروعيته: دل عليه الكتاب والسنة:

أما الكتاب: قول الله عز وجل: { **لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**}[٣]

ومن السنة: عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: " أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ: لَمَّا وَقَعَ الْوَبَاءُ بِالشَّامِ، فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ: أَنَّهُ قَدْ عُرِضَتْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ لَا غِنًى لِي بِكَ عَنْهَا، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يُرِيدُ بَقَاءَ قَوْمٍ لَيْسُوا بِبَاقِينَ، قَالَ: ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِنِّي فِي جَيْشٍ مِنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ لَسْتُ أَرْغَبُ بِنَفْسِي عَنِ الَّذِي أَصَابَهُمْ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ اسْتَرْجَعَ، فَقَالَ النَّاسُ: مَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ: لَا، وَكَانَ كَتَبَ إِلَيْهِ بِالْعَزِيمَةِ، فَأَظْهِرْ مِنْ أَرْضِ الْأُرْدُنِّ فَإِنَّهَا عَمِيقَةٌ وَبِيَةٌ[٤] إِلَى أَرْضِ الْجَابِيَةِ فَإِنَّهَا نُزْهَةٌ نَدِيَّةٌ، فَلَمَّا أَتَاهُ الْكِتَابُ بِالْعَزِيمَةِ أَمَرَ مُنَادِيَهُ أَنْ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ، فَلَمَّا قَدِمَ إِلَيْهِ لِيَرْكَبَهُ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ ثَنَّى رِجْلَهُ، فَقَالَ: مَا أَرَى دَاءَكُمْ إِلَّا قَدْ أَصَابَنِي، قَالَ: وَمَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَرَجَعَ الْوَبَاءُ عَنِ النَّاسِ «رُوَاةُ هَذَا الْحَدِيثِ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ وَهُوَ عَجِيبٌ بِمُرَّةَ»[٥].

---

(٢)العناية شرح الهداية محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين البابرتي الناشر: دار الفكر الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ (١/ ٤٠٢) ، حاشية الصاوي على الشرح الصغير = بلغة السالك لأقرب المسالك أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي الناشر: دار المعارف الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ (٤/ ٧٨٤)، موسوعة الفقه الإسلامي محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري الناشر: بيت الأفكار الدولية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م(٢/ ٧٢٩).

(٣) سورة البقرة / ١٥٥ – ١٥٧.

(٤) تعني مكانًا عميقًا ومليئًا بالمياه أو الوحل. يمكن أن تشير إلى مستنقع أو أرض منخفضة رطبة، وبية: تعني أرضًا رطبة مليئة بالوحل أو الماء، وغالبًا ما تكون مستنقعًا. راجع: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤، ص ٩٩٩.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضوان الله عليمه، باب ذِكْرُ مَنَاقِبِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم(٥١٤٦)، وعلق عليه الذهبي بقوله:" على شرط الشيخين". المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٢٩٥).

ووجه الدلالة : فيه استحباب الاسترجاع عند المصائب سواء كانت في الدين، أو في الدنيا سواء كانت في نفسه، أو من يعز عليه[٦].

أما مواطن الاسترجاع:

١- عند كل ما يبتلى به الإنسان من مصائب، عظمت أو صغرت. قال الله عز وجل: **{الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}** [٧].

٢- عند كل شيء يؤذي الإنسان ويضره؛ فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: **{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}** [٨]، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا "، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ»[٩].

أما حكم الاسترجاع: فهو إما باللسان وإما بالقلب[١٠]:

أ – أما اللسان، وهو أن يقول عند المصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون. وهذا مستحب.

ب – أما القلب، وهو الاستسلام والصبر والتوكل، وما يتبع ذلك، وهذا واجب.

---

(٦) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل للحطاب الرُعيني المالكي الناشر: دار الفكر الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م (٢/ ٢٣٣).

(٧) سورة البقرة / ١٥٥ – ١٥٧.

(٨) سورة البقرة: ١٥٦.

(٩) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، برقم(٩١٨) صحيح مسلم (٢/ ٦٣١).

(١٠) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣/ ٢٨٢)،

المطلب الثاني: التعريف الإمام القرطبي:

هو الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الأندلسي القرطبي المفسر كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة جمع في تفسير القرآن سماه جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن، وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً أسقط منه القصص والتواريخ وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ، وله شرح أسماء الله الحسنى سماه: الأسنى في أسماء الله الحسنى، وكتاب التذكار في أفضل الأذكار وضعه على طريقة التبيان للنووي لكن هذا أتم منه وأكثر علماً، وكتاب التذكرة بأمور الآخرة ، وكتاب شرح التقصي، وكتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة. وكان قد أطرح التكلف يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية سمع من الشيخ أبي العباس: أحمد بن عمر القرطبي – مؤلف المفهم في شرح صحيح مسلم – بعض هذا الشرح وحدث عن أبي علي: الحسن بن محمد بن محمد البكري وغيرهما، وكان مستقراً بمنية بني خصيب (محافظة المنيا) وتوفي بها ودفن وقبره مشهور هناك في شوال من سنة إحدى وسبعين وستمائة [١١].

المطلب الثالث: تعريف الأثر

الأثر لغة: بقية الشيء ، والتأثير إبقاء الأثر في الشيء والأثر هو الخبر [١٢].

واصطلاحًا: للأثر ثلاثة معان: الأول: النتيجة وهو الحاصل عن الشيء، والثاني : العلامة ، والثالث: الجزء.

(١١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ابن فرحون، برهان الدين اليعمري تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة (٢/ ٣٠٨)، وما بعدها.

(١٢) مختار الصحاح للرازي المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م (ص: ١٣)، تاج العروس (١٠/ ١٢).

وهو مخصوص عند الفقهاء بالمعنى الأول وهو حصول ما يدل على وجود الشيء والنتيجة.(١٣).

المطلب الرابع : تعريف الأمن المجتمعي

- **الأمن لغة:**

[أمن] الأمان والأمانة بمعنى. وقد أمنت فأنا آمن. وآمنت غيري، من الامن والامان. والايمان: التصديق. والله تعالى المؤمن، لأنه آمن عباده من أن يظلمهم. وأصل آمن أأمن بهمزتين، لينت الثانية. ومنه المهيمن، وأصله مؤأمن، لينت الثانية وقلبت ياء، وقلبت الاولى هاء. والأمن: ضد الخوف. والأمنة بالتحريك: الأمن.(١٤)

- **الأمن اصلاحًا:**

عرفه البعض بأنه: " تأمين كيان الدولة والمجتمع ضد الأخطار التي تتهدَّدهما داخلياً وخارجياً، وتأمين مصالحهما وتهيئة الظروف المناسبة اقتصادياً واجتماعياً لتحقيق الأهداف والغايات التي تعبر عن الرضاء العام في المجتمع".(١٥)

- الاجتماعي لغة: [جمع] جمعت الشئ المتفرق فاجتمع. والرجل المجتمع: الذي بلغ أشده. ولا يقال ذلك للنساء. ويقال للجارية إذا شبت: قد جمعت الثياب، أي قد لبست الدرع والخمار والملحفة. وتجمع القوم، أي اجتمعوا من ههنا وههنا.(١٦)

(١٣) التوقيف على مهمات التعاريف المناوي الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م (ص: ٣٨)، التعريفات للجرجاني الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م (ص: ٩).

(١٤) صحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت،ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، جـ٥، صـ ٢٠٧١.

(١٥) الأمن القومي العربي: دراسة في الأصول، د. علي الدين هلال، مجلة شؤون عربية، تصدر عن الجامعة العربية، عدد ٣٥ ص ١٢.

(١٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين – بيروت،ط ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م،ج ٣، ص ١١٩٨.

جاء في قاموس اللغة العربية المعاصرة: في مادة ج م ع: "اجتماع، مفرد والجمع اجتماعات، مصدر اجتمعَ/ اجتمعَ بـ، لقاء "عُقد الاجتماع السَّنويّ للقادة العرب في أجواءٍ متوتِّرة"، اجتماع علماء: التقاء أفراد في مكان وزمان معيّنين لتبادل وجهات النظر، اجتماعيّ: اسم منسوب إلى اجتماع: "العُرف الاجتماعيّ- إعانات اجتماعيّة".(١٧)

- **الأمن الاجتماعي اصطلاحًا:**

تعددت الآراء والتعريفات المتعلقة بـ الأمن الاجتماعي، لكن هذا التباين لا يمثل تناقضًا، بل هو أشبه ما يكون بـ اختلاف التنوع. كل رأي يسلط الضوء على جانب من جوانب الأمن الاجتماعي، مما يمكننا في النهاية من صياغة تعريف شامل وجامع لهذا المفهوم.

فالأمن الاجتماعي بمفهومه العام يشمل كل النواحي الحياتية التي تهم الإنسان المعاصر، فهو يشمل أول ما يشمل الاكتفاء المعيشي والاقتصادي والاستقرار الحياتي للمواطن، كما يتناول الأمن الاجتماعي بالإضافة إلى ما سبق تأمين الخدمات الأساسية للإنسان فلا يشعر بالعوز والحاجة، ويشمل الخدمات المدرسية والثقافية والرعاية الإنسانية والتأمينات الاجتماعية والمادية في حال البطالة والتوقف عن العمل، كما يهدف إلى تأمين الرفاهية الشخصية، وبالتالي إلى تأمين الوقاية من الإجرام والانحراف (١٨)

والبعض يشير إلى دور الدولة التنظيمي والإداري في هذا البعد الاجتماعي فيعرفه على أنه: " كل الإجراءات والبرامج والخطط السياسية والاقتصادية ، الهادفة لتوفير ضمانات شاملة تحيط كل شخص في المجتمع بالرعاية اللازمة، وتوفر له سبل تحقيق أقصى تنمية لقدراته وقواه، وأقصى درجة من الرفاهية في إطار من الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية"(١٩)

كما يرى آخرون بأن الأمن الاجتماعي هو" حاجة أساسية تطمح إليها الأفئدة، ومصلحة وطنية حيوية تنشدها الدولة بأجهزتها ومؤسساتها وترصدها بما تضع من خطط وبرامج للتنمية الشاملة، وهو غاية سامية تعمل لتحقيقها منظمات المجتمع المدني كالجمعيات الخيرية التعليمية

(١٧) معجم اللغة العربية المعاصرة، ١/ ٣٩٣-٣٩٤.

(١٨) الأمن الاجتماعي، مصطفى العوجي، ، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٣م، ص٧١.

(١٩) الأمن الاجتماعي وقضية الحرية ، نبيل رمزي إسكندر،دار المعرفة الجامعية ،مصر، ١٩٨٨م، ص٤.

والاجتماعية، كما أنه ميدان خصب للدراسات الاجتماعية المتخصصة، فالكل يتطلع إلى المجتمع الآمن من الآفات التي تهدد بنيانه بالتصدع وكيانه بالأخطار، كالجهل والفقر والمرض، والمخدرات، والجرائم والانحراف السلوكي"(٢٠)

المبحث الثاني

الأثر المقاصدي لاسترجاعات الإمام القرطبي على الأمن المجتمعي

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: استرجاع الإمام القرطبي عند تحريف القرآن وتلاعب القراء بأصواتهم.

إن صيانة النص القرآني من التحريف والتبديل كانت ولا تزال من أعظم مقاصد الأمة الإسلامية عبر تاريخها، إذ تعهّد الله بحفظ كتابه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ومن مظاهر هذا الحفظ: التلقي المشافه، وضبط القراءات، وقيام العلماء على مر العصور بتصحيح الأداء وضبط الألفاظ، وتنبيه القرّاء إلى ما قد يطرأ على التلاوة من انحراف أو غلوّ في الأداء الصوتي يخرج عن مقصود الشارع.

وفي هذا السياق، يبرز الإمام القرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن" بوصفه من أبرز من نبهوا على صور من التحريف في التلاوة وتلاعب بعض القراء بأصواتهم، ممن اتخذوا القراءة وسيلة للتكلف والتزيين المفرط، على حساب المعنى والدقة.

وقد كان استرجاع الإمام القرطبي –أي قوله: "إنا لله وإنا إليه راجعون" – عند ذكره لبعض هذه الممارسات، تعبيرًا عن أسف شديد، واستنكار صريح لما طرأ على بعض الألسنة من بعد عن الهدي القرآني الصحيح، واستبدال التجويد بالتطريب، والتعبد بالمبالغة الصوتية بدلًا من التدبر والفهم.

(٢٠) عبد الله بن عبد المحسن التركي، جريدة الجزيرة، العدد ١٢٩٤٤، ٢٠٠٨/٣/٧م، ٢٩، صفر،١٤٢٩هـ،

ومن هنا، تأتي أهمية دراسة هذا الاسترجاع من الإمام القرطبي، لا باعتباره تعبيرًا عابرًا، بل بوصفه موقفًا منهجيًا يعكس حرص العلماء على نقاء التلاوة، ورفض كل ما يُخلّ برسالة القرآن وهُويته.

الفرع الأول: موضع الاسترجاع.

قلت: وهذا الخلاف إنما هو ما لم يفهم معنى القرآن بترديد الأصوات وكثرة الترجيعات، فإن زاد الأمر على ذلك لا يفهم معناه فذلك حرام باتفاق، كما يفعل القراء بالديار المصرية الذين يقرءون أمام الملوك والجنائز، ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز، ضل سعيهم، وخاب ملهم، فسيحتلون بذلك تغيير كتاب الله، ويهونون على أنفسهم الاجتراء على الله بأن يزيدوا في تنزيله ما ليس فيه، جهلا بدينهم، ومروقا عن سنة نبيهم، ورفضا لسير الصالحين فيه من سلفهم، ونزوعا إلى ما يزين لهم الشيطان من أعمالهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فهم في غيهم يترددون، وبكتاب الله يتلاعبون، فإنا لله وإنا إليه راجعون! لكن أخبر الصادق أن ذلك يكون، فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم[٢١].

الفرع الثاني: تحذيرات الإمام القرطبي من التلاعب بكتاب الله وأثرها في تعزيز الأمن المجتمعي:

العلاقة بين كلام القرطبي والأمن المجتمعي، كلام القرطبي الذي يتحدث عن "تغيير كتاب الله" و"الاجتراء على الله" بزيادة ما ليس فيه، و"التلاعب بكتاب الله" من قبل بعض القراء الذين يبتغون الأجر والجوائز، هو في صميم الأمن **المجتمعي لعدة أسباب منها:**

- **حماية النص الديني وتحصين الفكر:** القرطبي هنا يدعو إلى حماية النص القرآني من أي تحريف أو تلاعب، سواء كان ذلك في المعنى أو الأداء الذي يؤثر على الفهم. هذا يمثل ركيزة أساسية للأمن الفكري؛ ففهم النص الديني الصحيح يقي الأفراد من الانحرافات الفكرية

[٢١] **تفسير القرطبي (١/ ١٦) وما بعدها.**

والتأويلات الباطلة التي قد تؤدي إلى الغلو أو التفريط. عندما يُحذر من تزيين الشيطان للأعمال، فهذا تحصين للعقول من الوقوع في فخ الأفكار الهدامة.

- **نتائج الانحراف:** قوله "ضل سعيهم، وخاب" و"جهلا بدينهم، ومروقا عن سنة نبيهم، ورفضا لسير الصالحين فيه من سلفهم، ونزوعا إلى ما يزين لهم الشيطان" يوضح أن الانحراف عن المنهج الصحيح في التعامل مع النص الديني يؤدي إلى ضلال فكري وسلوكي، وهذا يهدد الأمن الفكري للفرد والمجتمع.

الفرع الثالث: المرجعية القرآنية وصون النسيج المجتمعي في ضوء تحذيرات القرطبي:

إن وحدة المجتمعات واستقرارها يرتكزان على مرجعية دينية متفق عليها، تمثل مصدر التوجيه والضبط القيمي للأفراد. ويأتي القرآن الكريم في مقدمة هذه المرجعيات لدى المسلمين، فكل مساس بقدسيته أو تلاعب بألفاظه أو مفاهيمه يُعد تهديدًا مباشرًا للأمن الفكري والاجتماعي. ومن هنا جاءت تحذيرات الإمام القرطبي من التلاعب بالنص القرآني، دفاعًا عن هذه المرجعية المشتركة وصونًا لتماسك المجتمع واستقراره.

وإن المجتمعات لا تنهض إلا إذا توحدت على مرجعية فكرية وثقافية وأخلاقية راسخة، تشكل الإطار الجامع لهويتها ومنظومتها القيمية. وفي الأمة الإسلامية، كان القرآن الكريم هو هذا المرجع الأسمى، الذي يُحتكم إليه في الاعتقاد والسلوك والعبادة. ومن هنا، فإن أي مساس بحرمة هذا النص، سواء بتحريف لفظه أو التلاعب بأدائه أو تأويله على غير وجهه، يُعد تهديدًا مباشرًا للوحدة المجتمعية والأمن الفكري.

وقد أدرك الإمام القرطبي هذا الخطر، فكان من أشد العلماء إنكارًا على من يتجاوزون حدود التلاوة المقبولة إلى التكلف المذموم والتحريف الصوتي، لا سيما إذا اقترن ذلك بابتغاء الشهرة أو الجوائز، لما في ذلك من امتهان لقدسية النص وزعزعة للثقة في المرجعية الدينية، وهو ما يُفضي في نهاية المطاف إلى خلخلة الاستقرار النفسي والاجتماعي للأفراد، وفتح أبواب الفتن والانقسام داخل الأمة.

الفرع الرابع: مواجهة الإمام القرطبي التشويه والابتداع، ومحاربته للإبداع.

و كلام القرطبي يمثل تحذيرًا صريحًا من المبتدعين والمتلاعبين بالدين لأغراض دنيوية (مثل الأجور والجوائز). هؤلاء يمثلون خطرًا على الأمن المجتمعي لأنهم يستغلون الدين لتحقيق مكاسب شخصية، مما يشوه صورة الدين ويثير الشكوك حول مقاصده النبيلة.

والقرطبي هنا يضع حدودًا واضحة للتلاوة والتعامل مع القرآن، محذرًا من المودة التي تخرج النص عن معناه ومقصوده. هذا يساهم في بناء وعي جمعي يرفض مثل هذه الممارسات، مما يعزز الأمن الفكري للمجتمع بمنع انتشار الأفكار المغلوطة أو الممارسات المشوهة للدين.

بشكل عام، فإن القرطبي من خلال هذه الفقرات يؤسس لمبدأ أساسي في حفظ الدين من التحريف واللعب، وهذا الحفظ هو جوهر الأمن الفكري الذي يؤدي بدوره إلى استقرار وأمن المجتمع ككل.

المطلب الثاني: استرجاع الإمام القرطبي عند تحريف الدين، وفيه ثلاثة فروع:

إن من أعظم ما يحافظ على نقاء الدين وسلامة مساره عبر الأزمان هو وعي العلماء ويقظتهم تجاه ما قد يُدسّ فيه من تحريف أو تزييف، سواء في معانيه أو ألفاظه أو تطبيقاته. وقد تميز الإمام القرطبي، في تفسيره للقرآن الكريم، بحدة في الإنكار على كل مظهر من مظاهر الانحراف عن نصوص الوحي أو مقاصده، لا سيما حين يُتخذ الدين وسيلة للرياء أو التكسب أو التفلت من الضوابط الشرعية.

ومن أبرز تعبيراته في هذا السياق تكرار عبارة الاسترجاع: "إنا لله وإنا إليه راجعون"، التي لم تكن مجرد دعاء، بل كانت استنكارًا لما آل إليه حال بعض القرّاء والمنتسبين إلى العلم، ممن تجرأوا على تحريف الدين أو التلاعب بألفاظه وأحكامه، متجاوزين بذلك حدود ما شرعه الله وسنه نبيّه ﷺ.

ويكشف هذا الاسترجاع في مواضعه عن منهج نقدي صارم لدى القرطبي في التصدي لتحريف الدين، يجمع بين الغيرة على النص، والتحذير من الانحراف، والدعوة للعودة إلى الفهم السليم والممارسة المنضبطة للنصوص الشرعية.

الفرع الأول: موضع الاسترجاع.

قال تعالي: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) [٢٢]

في هذه الآية والتي قبلها التحذير من التبديل والتغيير والزيادة في الشرع، فكل من بدل وغير أو ابتدع في دين الله ما ليس منه ولا يجوز فيه فهو داخل تحت هذا الوعيد الشديد، والعذاب الأليم، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته لما قد علم ما يكون في آخر الزمان فقال: (ألا من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) الحديث، وسيأتي. فحذرهم أن يحدثوا من تلقاء أنفسهم في الدين خلاف كتاب الله أو سنته أو سنة أصحابه فيضلوا به الناس، وقد وقع ما حذره وشاع،. كثر وذاع، فإنا لله وإنا إليه راجعون[٢٣].

الفرع الثاني: مدى حماية الإمام القرطبي للعقيدة والفهم الصحيح للدين.

يتضح من كلام القرطبي في تفسيره لهذه الآيات رؤيته لأهمية صيانة النص الديني من التبديل والتغيير والابتداع، وكيف أن هذا يتصل اتصالاً وثيقًا بالأمن المجتمعي. يمكن ربط كلامه بالأمن من عدة جوانب:

الأمن الفكري: حماية العقيدة والفهم الصحيح للدين:

الآية الكريمة "فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا" هي تحذير مباشر وصريح من تزييف الحقائق الدينية ونسبتها إلى الله كذبًا. هذا التزييف هو أساس زعزعة الأمن الفكري للفرد، لأنه يخلط عليه الحق بالباطل، ويهدم المرجعيات المعرفية السليمة.

---

[٢٢] **تفسير القرطبي (٢/ ٩).**

[٢٣] **سورة البقرة (الآية ٧٩)**

وربط القرطبي هذه الآية بتحذير النبي صلى الله عليه وسلم من افتراق الأمة على فرق، وهذا يمثل دعوة صريحة لمواجهة كل من "بدل وغير أو ابتدع في دين الله ما ليس منه". البدع والانحرافات الفكرية تُشكل خطرًا مباشرًا على الأمن الفكري، لأنها تُخرج الأفراد عن المنهج القويم، وتؤدي إلى تبني أفكار خاطئة قد تقود إلى الغلو أو الجفاء أو الشك في ثوابت الدين.

والقرطبي يحذر من "أن يحدثوا من تلقاء أنفسهم في الدين خلاف كتاب الله أو سنته أو سنة أصحابه". هذا تأكيد على ضرورة الالتزام بالمصادر الشرعية الصحيحة (القرآن والسنة وفهم السلف الصالح) كمرجع أساسي للفكر السليم، وهو ما يحمي العقول من التشتت والضلال.

الفرع الثالث: أثر ذلك على صيانة الوحدة والاستقرار:

عندما يحذر القرطبي من الافتراق والتفريق في الدين، فإنه ينظر إلى الأثر الاجتماعي السلبي لهذه الممارسات. البدع والأفكار المنحرفة غالبًا ما تكون سببًا رئيسيًا في إثارة الخلافات والنزاعات داخل المجتمع، وتؤدي إلى تشرذم الصف وتفكك الوحدة.

و الوعيد الشديد المذكور في الآية "فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون" يدل على جسامة هذه الأفعال وآثارها المدمرة على الفرد والمجتمع. عندما يتم التلاعب بالدين أو استغلاله لتحقيق مكاسب دنيوية (الثمن القليل)، فإن ذلك يضر بالثقة المجتمعية، ويولد الشكوك حول النوايا، مما يهدد السلم والأمن الاجتماعيين.

والحفاظ على مرجعية الدولة والمؤسسات: عندما تتعدد مصادر الفتوى والتشريع غير المنضبطة، وتنتشر البدع، فإن ذلك يضعف مرجعية العلماء الراسخين والمؤسسات الدينية الرسمية. هذا الضعف قد يؤدي إلى فوضى فكرية يستغلها البعض لزعزعة استقرار المجتمع والنظام العام.

باختصار: كلام القرطبي هنا هو بمثابة جرس إنذار ضد أي محاولة لتشويه الدين أو التلاعب به، ليس فقط لحماية العقيدة الصحيحة للأفراد، ولكن أيضًا للحفاظ على تماسك المجتمع ووحدته من أي انقسامات أو فتن قد تنجم عن الأفكار المنحرفة والبدع.

المطلب الثالث: استرجاع الإمام القرطبي عند التناحر الداخلي والانحراف عن المنهج النبوي:

يُعدّ حفظ وحدة الأمة الإسلامية من أعظم المقاصد التي دعا إليها الشرع، وحرص عليها العلماء الربانيون، إدراكًا لما يترتب على التناحر الداخلي والانحراف عن المنهج النبوي من ضعف في الدين، وتمزق في الصف، وتضييع للرسالة. وقد كان الإمام القرطبي في تفسيره مثالًا للعالم الغيور على وحدة الأمة، والراصد الدقيق لمظاهر الانحراف عن هدي النبي ﷺ وسيرة السلف الصالح.

وفي سياقات عديدة، عبّر الإمام القرطبي عن ألمه وأسفه الشديدين تجاه ما رآه من مظاهر الفرقة، أو العدول عن السنة، أو الغلو في الدين، مستخدمًا عبارة "إنا لله وإنا إليه راجعون"، لا على موت فرد، بل على ما هو أعظم: موت القيم، وضياع الهُدى، وانقلاب المفاهيم.

الفرع الأول: موضع الاسترجاع:

قال تعالي: **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ)** [٢٤][٢٥].

فإن قيل: وهل يسفك أحد دمه ويخرج نفسه من داره؟ قيل له لما كانت ملتهم واحدة وأمرهم واحد وكانوا في الأمم كالشخص الواحد جعل قتل بعضهم بعضا وإخراج بعضهم بعضا قتلا لأنفسهم ونفيا لها. وقيل: المراد القصاص، أي لا يقتل أحد فيقتل قصاصا، فكأنه سفك دمه. وكذلك لا يزني ولا يرتد، فإن ذلك يبيح الدم. ولا يفسد فينفى، فيكون قد أخرج نفسه من دياره. وهذا تأويل

[٢٤] **سورة البقرة (الآية ٨٤).**

[٢٥] **تفسير القرطبي (٢/ ١٨).**

فيه بعد وإن كان صحيح المعنى. وإنما كان الأمر أن الله تعالى قد أخذ على بني إسرائيل في التوراة ميثاقا ألا يقتل بعضهم بعضا، ولا ينفيه ولا يسترقه، ولا يدعه يسرق، إلى غير ذلك من الطاعات. [٢٦].

قلت: وهذا كله محترم علينا، وقد وقع ذلك كله بالفتن فينا، فإنا لله وإنا إليه راجعون! وفي التنزيل:" **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ**[٢٧] " وسيأتي. قال ابن خويز منداد[٢٨].: وقد يجوز أن يراد به الظاهر، لا يقتل الإنسانية نفسه، ولا يخرج من داره سفها، كم تقتل الهند أنفسها. أو يقتل الإنسان نفسه من جهد وبلاء يصيبه، أو يهيم في الصحراء ولا يأوي البيوت جهلا في ديانته وسفها في حلمه: فهو عموم في جميع ذلك. وقد روي أن عثمان بن مظعون[٢٩] بايع في عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزموا أن يلبسوا

---

[٢٦] تفسير القرطبي (٢/ ١٩).

[٢٧]سورة الأنعام (من الآية ٦٥).

[٢٨] ابن خُوَيْز مَنْدَاد هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر القاضي الأندلسي المالكي. يُعدّ من كبار فقهاء المالكية ومحدثيهم في عصره. وُلد في الأندلس، وتاريخ ولادته غير محدد بدقة، لكنه عاصر فترة متأخرة من القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجري، اشتهر ابن خُوَيْز مَنْدَاد بعلمه الواسع في الفقه والحديث والتفسير والأصول، وكان له دور بارز في نشر المذهب المالكي. يُعرف عنه قوة الحجة والجدل، وغزارة الإنتاج العلمي. من أبرز آثاره: "أحكام القرآن": وهو من التفاسير الفقهية الهامة التي تعنى باستنباط الأحكام الشرعية من آيات القرآن الكريم على مذهب الإمام مالك، اختصارات في الفقه: وله العديد من المصنفات في الفقه المالكي.

توفي ابن خُوَيْز مَنْدَاد سنة ٣٩٠ هـ. راجع: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، ج ١٧، ص ٥٩٤-٥٩٦. الزركلي، خير الدين. الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م، ج ٦، ص ١٦.

[٢٩]عثمان بن مظعون الجمحي القرشي هو أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرام، ومن السابقين إلى الإسلام. كان من أوائل الذين أسلموا، وهو أخو أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب لأمها، واشتهر عثمان بن مظعون بزهده وورعه الشديدين، وحبه للعبادة. كان من أوائل المهاجرين إلى الحبشة في الهجرة الأولى فرارًا بدينه من أذى قريش. ثم عاد وهاجر إلى المدينة

المسوح[٣٠]، وأن يهيموا في الصحراء ولا يأووا البيوت: ولا يأكلوا اللحم ولا يغشوا النساء، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فجاء إلى دار عثمان بن مظعون فلم يجده، فقال لامرأته: (ما حديث بلغني عن عثمان)؟ وكرهت أن تفشي سر زوجها، وأن تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، إن كان قد بلغك شي فهو كما بلغك، فقال: (قولي لعثمان أخلاف لسنتي أم على غير ملتي إني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأغشى النساء وآوي البيوت وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني) فرجع عثمان وأصحابه عما كانوا عليه[٣١].

الفرع الثاني: مدى تحذير الإمام القرطبي من التناحر الداخلي والانحراف عن المنهج النبوي.

من خلال الاسترجاع السابق يحذر القرطبي من التناحر الداخلي والانحراف عن المنهج النبوي، فيوضح الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآيات العلاقة الوثيقة بين الالتزام بالمواثيق الإلهية والمنهج النبوي، وبين صيانة الأمن المجتمعي، ويمكن تحليل هذا الربط من عدة جوانب:

المنورة مع المسلمين، وكان عثمان بن مظعون رضي الله عنه معروفًا برغبته الشديدة في التبتل والزهد، حتى أنه همّ بالخصاء والترهب، لكن النبي صلى الله عليه وسلم نهاه عن ذلك، وأمره بالزواج وسنة الإسلام، ويُعدّ عثمان بن مظعون أول من دُفن في البقيع من المهاجرين بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وذلك بعد غزوة بدر. وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالخير، ودعا له. راجع: ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي. الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ج ٤، ص ٣٦٨-٣٦٩. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، ج ٢، ص ١٧٥-١٧٧.

[٣٠] **عبارة "يلبسوا المسوح" تعني يرتدوا الثياب الخشنة المصنوعة غالبًا من الصوف أو الشعر، والتي كانت تلبس علامة على التوبة، أو الحزن، أو التذلل، أو الزهد والتقشف، أو كنوع من العقاب. راجع: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤، ص ٨٧٦ (بتصرف).**

[٣١] **تفسير القرطبي (٢/ ١٨).**

- **حفظ النفس من التيه الفكري:** سؤال القرطبي "وهل يسفك أحد دمه ويخرج نفسه من داره؟" وتأويله بأن المراد هو الامتناع عن الجرائم التي توجب القصاص أو النفي (كالقتل، الزنا، الردة، الفساد) يوضح أن الخروج عن الشريعة في هذه الجرائم هو بمثابة تدمير للذات وإخراج لها من دائرة الأمان الفكري. الفكر المنحرف الذي يبيح هذه الأفعال يهدد سلامة الفرد العقلية والنفسية، ويدفعه إلى ما يضر به وبدينه.
- **تصحيح المفاهيم الدينية المغلوطة:** ذكر القرطبي لحادثة عثمان بن مظعون وأصحابه الذين عزموا على "لبس المسوح، وأن يهيموا في الصحراء ولا يأووا البيوت، ولا يأكلوا اللحم ولا يغشوا النساء" يبرز دور السنة النبوية في تصحيح الفهم الديني وتحصين الفكر من الغلو والتطرف. النبي صلى الله عليه وسلم بين أن هذا السلوك "أخلاف لسنتي" و"من رغب عن سنتي فليس مني"، مما يؤكد أن الأمن الفكري يتحقق بالالتزام بمنهج الوسطية والاعتدال الذي جاء به الإسلام، والتحذير من أي فكر يخرج عن هذا الموازن.
- **التحذير من الجهل والسفه:** ربط القرطبي بين "قتل الإنسان نفسه" و"الخروج من داره سفها" أو "جهلا في ديانته وسفها في حلمه" يؤكد أن الجهل والافتقار إلى الحكمة (السفه) [٣٢]. هما منشأ الانحراف الفكري الذي قد يدفع الفرد إلى تدمير ذاته روحيًا أو جسديًا، و الحفاظ على الفهم الصحيح للدين والمعرفة السليمة يحمي الفرد من الوقوع في فخ هذه المزالق.

---

[٣٢] كلمة السفه (بفتح السين والفاء) تعني: الخفة والطيش، ونقصان العقل، ورداءة التصرف، وتطلق على الجاهل الذي يتصرف بغير حكمة أو تدبر، كما قد تدل الكلمة على التبذير وصرف المال في غير وجهه الصحيح، أو عدم حفظه. راجع: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤، ص ٤٣٢ (بتصرف).

الفرع الثالث: أثر ذلك على حماية النسيج الاجتماعي من التفكك.

- **نبذ العنف والصراع الداخلي:** تفسير القرطبي لـ"لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم" بأنها تعني عدم قتل بعضهم بعضًا وإخراج بعضهم بعضًا (لأن ملتهم واحدة كالشخص الواحد) هو دعوة واضحة إلى الأمن المجتمعي. سفك الدماء والتهجير هما من أخطر ما يهدد استقرار المجتمعات، ويؤديان إلى الفوضى والخراب. الميثاق الإلهي جاء لضمان السلم الداخلي والوحدة بين أفراد المجتمع.
- **مواجهة الفتن والانقسام:** قوله "وهذا كله محترم علينا، وقد وقع ذلك كله بالفتن فينا، فإنا لله وإنا إليه راجعون!" وتذكيره بالآية "أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض" يعكس إدراكه لخطورة الفتن التي تمزق الأمة وتجعلها فرقًا متناحرة. هذه الفتن هي العدو الأول للأمن المجتمعي، لأنها تدمر الثقة بين أفراده وتؤدي إلى الصراع والاقتتال. القرطبي يدعو إلى استحضار الميثاق الإلهي والتوبة من هذه الممارسات المدمرة.
- **ضمان الاستقرار والحفاظ على النظام:** الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل بعدم القتل، والنفي، والاسترقاق، والسرقة، كلها تصب في الحفاظ على النظام الاجتماعي والأمن العام. فالمجتمع لا يمكن أن يزدهر أو يستقر إلا إذا شعر أفراده بالأمان على أرواحهم، وأعراضهم، وممتلكاتهم، وديارهم.

بناءً على ما تقدم، يشدد القرطبي على أن الالتزام بالمواثيق الإلهية والمنهج النبوي الصحيح هو الضمانة الأساسية للحفاظ على الفرد من الانحراف الفكري وعلى المجتمع من التفكك والصراع.

المطلب الرابع: استرجاع الإمام القرطبي عند تعطيل الجهاد.

إنّ الجهاد في الإسلام مفهوم واسع وشامل، يتجاوز القتال ليشمل كل جهد يُبذل في سبيل الله لإعلاء كلمته ونشر دينه والدفاع عن الحق والعدل. ومع تعاقب الأزمنة وتغير الظروف، قد تمر الأمة بظروف تفرض عليها تعطيل جوانب معينة من الجهاد، أو قد تنشأ مفاهيم مغلوطة حوله. في مثل هذه الأوقات، يصبح من الأهمية بمكان العودة إلى ينابيع الفقه الإسلامي الأصيلة، واستلهام فهم أئمة الإسلام الكبار لمختلف قضاياه.

إنّ استحضار آراء الإمام القرطبي في الجهاد، وتحليل سياقاتها، يعطينا رؤية متعمقة لكيفية التعامل مع هذه الفريضة في مختلف الظروف، مع الأخذ في الاعتبار مقاصد الشريعة وواقع الأمة.

الفرع الأول: موضع الاسترجاع: وهذا في أربعة مواضع:

الموضع الأول:

قال تعالي: " **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**"[٣٣].

وقال أبو عبيدة:" عسى" من الله إيجاب، والمعنى عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة وهو خير لكم في أنكم تغلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون، ومن مات مات شهيدا، وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم في أنكم تغلبون وتذلون ويذهب أمركم. قلت: وهذا صحيح لا غبار عليه، كما اتفق في بلاد الأندلس، تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأي بلاد؟! وأسر وقتل وسبى واسترق، فإنا لله وإنا إليه راجعون! ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته[٣٤]!

[٣٣] **سورة البقرة (الآية ٢١٦).**

[٣٤] **تفسير القرطبي (٣/ ٣٧)، وما بعدها.**

الموضع الثاني:

قال تعالي: "**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**"[٣٥].

قال الله تعالى:" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ**[٣٦]" وقال:" **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا**[٣٧]"وقال:" **إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** [٣٨]"، وقال:" **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ** [٣٩]" وقال:" **إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**[٤٠]". فهذه أسباب النصر وشروطه وهي معدومة عندنا غير موجودة فينا، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا وحل بنا! بل لم يبق من الإسلام إلا ذكره، ولا من الدين إلا رسمه لظهور الفساد ولكثرة الطغيان وقلة الرشاد حتى استولى العدو شرقا وغربا برا وبحرا، وعمت الفتن وعظمت المحن ولا عاصم إلا من رحم! [٤١].

الموضع الثالث:

الثانية– قوله تعالى: "**وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ**[٤٢]" يريد إن دعوا هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا من أرض الحرب عونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم، فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم. إلا أن يستنصر وكم على قوم كفار بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصر وهم عليهم، ولا

---

[٣٥] **سورة البقرة (الآية ٢٤٩).**

[٣٦] **سورة آل عمران (الآية ٢٠٠).**

[٣٧] **سورة المائدة (من الآية ٢٣).**

[٣٨] **سورة النحل (من الآية ١٢٨).**

[٣٩] **سورة الحج (من الآية ٤٠).**

[٤٠] **سورة الأنفال (من الآية ٤٥).**

[٤١] **تفسير القرطبي (٣/ ٢٥٥).**

[٤٢] **سورة الأنفال (من الآية ٧٢).**

تنقضوا العهد حتى تتم مدته. قال ابن العربي[٤٣]: إلا أن يكونوا أسري مستضعفين فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة، حتى لا تبقى منا عين تطرف حتى تخرج إلى استنقاذ هم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم. كذلك قال مالك وجميع العلماء، فإنا لله وإنا إليه راجعون، على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو وبأيديهم خزائن الأموال، وفضول الأحوال والقدرة والعدد والقوة والجلد [٤٤]..

الموضع الرابع:

قوله تعالي: " **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**"[٤٥]

روي أن بعض الملوك عاهد كفارا على ألا يحبسوا أسيرا، فدخل رجل من المسلمين جهة بلادهم فمر على بيت مغلق، فنادته امرأة إني أسيرة فأبلغ صاحبك خبري فلما اجتمع به

---

[٤٣] **هو: القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ / ١٠٧٦ - ١١٤٨ م) هو أحد كبار أئمة المذهب المالكي في الأندلس، ومحدّث، ومفسّر، ولغوي، وأصولي. وُلد في إشبيلية بالأندلس، ورحل في طلب العلم إلى المشرق، حيث التقى بالعديد من كبار العلماء في بغداد والشام ومصر، وتأثر بهم، عاد ابن العربي إلى الأندلس، وعُين قاضيًا في إشبيلية، لكنه استقال من منصبه لاحقًا ليتفرغ للتدريس والتصنيف. كان يتميز بسعة علمه، وقوة حجته، وغزارة مؤلفاته التي جمعت بين الفقه والحديث والتفسير والأصول واللغة والتاريخ، من أبرز مؤلفاته: "أحكام القرآن": وهو تفسير فقهي جامع لآيات الأحكام، يُعدّ من أهم المراجع في المذهب المالكي، "العواصم من القواصم": كتاب في التاريخ السياسي والعقائد، يرد فيه على الشبهات والأخطاء، "عارضة الأحوذي في شرح سنن الترمذي": من شروح سنن الترمذي المهمة، توفي القاضي ابن العربي بمدينة فاس في المغرب الأقصى. راجع: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، ج ٢٠، ص ١٩٧-٢٠٠. ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. القاهرة: دار التراث للطبع والنشر، (د.ت)، ج ٢، ص ١٦٣-١٦٥.**

[٤٤] **تفسير القرطبي (٨/ ٥٧).**

[٤٥] **سورة التوبة (الآية ٤١).**

واستطعمه عنده وتجاذبا ذيل الحديث انتهى الخبر إلى هذه المعذبة فما أكمل حديثه حتى قام الأمير على قدميه وخرج غازيا من فوره ومشى إلى الثغر حتى أخرج الأسيرة واستولى على الموضع رضي الله عنه. ذكره ابن العربي وقال: ولقد نزل بنا العدو قصمه الله– سنة سبع وعشرين وخمسمائة فجاس ديارنا وأسر خيرتنا وتوسط بلادنا في عدد هال الناس عدده وكان كثيرا وإن لم يبلغ ما حددوه. فقلت للوالي والمولى عليه: هذا عدو الله قد حصل في الشرك والشبكة فلتكن عندكم بركة، ولتظهر منكم إلى نصرة الدين المتعينة عليكم حركة فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع الأقطار فيحاط به فإنه هالك لا محالة إن يسركم الله له فغلبت الذنوب ورجفت القلوب بالمعاصي وصار كل أحد من الناس ثعلبا يأوي إلى وجاره، وإن رأى المكيدة بجاره، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وحسبنا الله ونعم الوكيل، وقوله تعالى: (وجاهدوا) أمر بالجهاد، وهو مشتق من الجهد (بأموالكم وأنفسكم) روى أبو داود عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم). وهذا وصف لأكمل ما يكون من الجهاد وأنفعه عند الله تعالى. فحض على كمال الأوصاف، وقدم الأموال في الذكر إذ هي أول مصرف وقت التجهيز فرتب الأمر كما هو نفسه[٤٦] .

الفرع الثاني: مدى ربط الإمام القرطبي الجهاد المجتمعي.

يُقدم الإمام القرطبي في تفسير هذه الآيات تحليلًا عميقًا لآية الجهاد، ويربطها بواقع الأمة المؤلم، مُظهرًا بذلك أثر التزام الأمة بفريضة الجهاد أو تقاعسها عنها على الأمن المجتمعي. يمكن ربط كلامه بالأمن من جوانب متعددة:

١. الأمن الفكري: تصحيح المفاهيم وبناء الإرادة:

يوضح القرطبي أن الجهاد ليس مجرد قتال، بل هو أمر إلهي يشمل "الأموال والأنفس والألسنة"، وهو "أكمل ما يكون من الجهاد وأنفعه عند الله". هذا الفهم يساهم في بناء أمن فكري عميق، بتحصين العقول من المفاهيم الضيقة أو المشوهة للجهاد، وتأكيد شمولية هذه الفريضة كجهد شامل في سبيل الله.

[٤٦] **تفسير القرطبي (٨/ ١٤٩)، تفسير القرطبي (٨/ ١٥٢)، وما بعدها.**

و ربط النصر بالاستجابة للتكليف من خلال قصة الأمير الذي قام فورًا لإنقاذ الأسيرة تُبرز كيف أن الاستجابة الفورية لواجب الجهاد (نصرة المستضعف) تؤدي إلى النصر و"الاستيلاء على الموضع". هذا يُرسخ أمنًا فكريًا قوامه الثقة بصدق وعد الله بالنصر لمن ينصره، ويُحفّز على العمل والإقدام بدلاً من التردد أو اليأس.

و نقد القرطبي اللاذع لـ"غلبة الذنوب ورجفة القلوب بالمعاصي وصيرورة كل أحد من الناس ثعلباً يأوي إلى وجاره وإن رأى المكيدة بجاره" يكشف عن انحراف فكري خطير وهو تبرير التقاعس عن الواجبات الدينية بالمعاصي والخوف والأنانية. هذا النقد يهدف إلى تصحيح هذا الفكر، وتحصين الأمة من تبرير التخاذل، وإعادة توجيهها نحو المسؤولية والجدية في التعامل مع فرائضها.

٢. الأمن المجتمعي: حماية الكيان وصيانة الوجود:

و يُظهر القرطبي من خلال مثال الأندلس وواقعة أسر العدو لـ"خيرتنا" و"توسطه بلادنا" أن ترك الجهاد يؤدي إلى الانهيار الكامل للأمن المجتمعي. فالعدو يستولي على الديار، ويأسر الأحرار، وينتهك الكرامات. الجهاد هنا هو الدرع الواقي لوجود الأمة، وسيادتها، وكرامة أفرادها.

و دعوة القرطبي "فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع الأقطار" هي دعوة لبناء وعي جماعي بالمسؤولية المشتركة في الدفاع عن المجتمع. غياب هذا الوعي، وتفضيل كل فرد "الإنكار" على "وجاره" بدلاً من "إغاثة جاره"، يؤدي إلى تفكك النسيج المجتمعي وضعفه أمام الأحداث، مما يُفقده حصانته وأمنه.

و تعبير القرطبي عن أسفه لـ"غلبة الذنوب ورجفة القلوب بالمعاصي" يكشف عن فهم عميق بأن التهديدات الداخلية (كالفساد الأخلاقي والجبن) هي سبب رئيسي لضعف الأمة وانهيار أمنها المجتمعي. فالمجتمع الموبوء بالذنوب والتقاعس لا يستطيع أن يواجه التحديات الخارجية، مما يجعله فريسة سهلة لأعدائه.

باختصار، يُقدم القرطبي تحليلًا معمقًا لكيفية أن الالتزام بفرض الجهاد، فهمًا وعملًا، هو صمام أمان شامل للأمن الفكري (بتصحيح المفاهيم وبناء الإرادة) والأمن المجتمعي (بحماية الوجود، وتعزيز التماسك، ومواجهة الضعف الداخلي).

٥- تأصيل القرطبي لأسباب النصر وربطها بالأمن المجتمعي:

في تفسير القرطبي لهذه الآيات يقدم الإمام القرطبي تحليلًا عميقًا لأسباب النصر من منظور قرآني، ويربطها بواقع أمته الأليم، مما يكشف عن ارتباط وثيق بالأمن المجتمعي من خلال الآتي:

١. الأمن الفكري: تصحيح المفاهيم وبناء الإرادة:

يستعرض القرطبي الآيات القرآنية التي تتحدث عن شروط النصر (الصبر، المصابرة، المرابطة، التقوى، التوكل على الله، الإحسان، ذكر الله كثيرًا، نصرة الله لدينه). هذا البُعد يعزز الأمن الفكري بتثبيت المفاهيم الصحيحة لسُنن الله الكونية والشرعية. فالنصر ليس مجرد حظ أو قوة مادية بحتة، بل هو ثمرة لالتزام بمنهج إلهي متكامل. هذا الفهم يقي الفرد من اليأس أو الاتكال الأعمى، ويُحصّن فكره ضد الأوهام أو التفسيرات الخاطئة لواقع الهزيمة أو النصر.

وعندما يقر القرطبي بواقع الأمة بقوله: "فهذه أسباب النصر وشروطه وهي معدومة عندنا غير موجودة فينا، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا وحل بنا!"، فإنه يُوقظ الأمن الفكري من خلال تحميل الأمة مسؤولية ما أصابها. هذا يمنع الأفراد من لوم القدر أو العوامل الخارجية فقط، ويدفعهم للتفكير في الإصلاح الذاتي والعودة إلى ما فرطوا فيه. إنها دعوة للتأمل النقدي للذات قبل لوم الآخرين أو الظروف.

و الربط بين النصر والإيمان (قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) يعمق الأمن الفكري بتأكيد قيمة اليقين بالله والتوكل عليه. هذا الفكر يمنح الأفراد قوة داخلية وعزيمة لا تتزعزع أمام التحديات، حتى لو كانت أعداد العدو تفوقهم، مما يحصنهم نفسيًا وفكريًا.

٢. الأمن المجتمعي: مواجهة التفكك والانحدار:

يصف القرطبي حال الأمة بقوله: "بل لم يبق من الإسلام إلا ذكره، ولا من الدين إلا رسمه لظهور الفساد ولكثرة الطغيان وقلة الرشاد حتى استولى العدو شرقا وغربا برا وبحرا، وعمت الفتن وعظمت المحن ولا عاصم إلا من رحم!". هذا الوصف يُشكل تحذيرًا صارخًا من أن غياب شروط النصر المذكورة يؤدي إلى انهيار الأمن المجتمعي الشامل.

و يُبيّن القرطبي أن استيلاء العدو، وعموم الفتن، وعظم المحن هي نتائج طبيعية لـ"ظهور الفساد وكثرة الطغيان وقلة الرشاد". هذا يربط بشكل مباشر بين التدهور الأخلاقي والديني الداخلي وبين فقدان الأمن الخارجي (استيلاء العدو) والأمن الداخلي (عموم الفتن والمحن). فالمجتمع الذي لا يلتزم بقيمه ومبادئه يكون عرضة للانهيار من الداخل والخارج.

وضمنيًا، هذا النقد لواقع الأمة–من قبل الإمام القرطبي– هو دعوة قوية للعودة إلى ما وصفه القرطبي بأسباب النصر. إنها دعوة للاتحاد على المنهج الصحيح، والابتعاد عن الفساد والطغيان، والتمسك بالتقوى والإحسان والصبر، لأن في ذلك ضمانة لعودة الأمن المجتمعي وحفظ كيان الأمة من الزوال.

باختصار، يقدم القرطبي تشخيصًا دقيقًا لأمراض الأمة التي تُهدد أمنها، ويُشير إلى أن الخلل ليس في قوة العدو بقدر ما هو في غياب الأسس الروحية والأخلاقية التي تُعد شروطًا للنصر. هذا الربط يعزز الأمن الفكري بتصحيح المفاهيم، ويُنبّه للأمن المجتمعي بخطورة التهاون في تطبيق المنهج الإلهي.

٦– واجب نصرة المستضعفين وحماية الأمن المجتمعي:

من كلام الإمام القرطبي في تفسير هذه الآيات نقطة محورية في فهم واجبات المسلمين تجاه بعضهم البعض، وكيفية تأثير الالتزام بهذه الواجبات أو التقاعس عنها على الأمن المجتمعي. يمكن ربط كلامه بالأمن من جوانب متعددة:

١. الأمن الفكري: تعزيز الأخوة الإيمانية وتصحيح الموازين:

فيؤكد القرطبي أن نصرة المؤمنين المستضعفين هو فرض وواجب، وأن تركهم هو "خذلان". هذا يرسخ في الفكر مفهوم الأخوة الإيمانية الشاملة التي تتجاوز الحدود الجغرافية، وأن المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص. هذا المفهوم يعزز الأمن الفكري بمنع الأنانية أو الانكفاء على الذات، ويدفع نحو التفكير في المجموع.

ونقد القرطبي اللاذع لـ "ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو وبأيديهم خزائن الأموال، وفضول الأحوال والقدرة والعدد والقوة والجلد" هو تصحيح لموازين الفكر المنحرفة. فهو يوبخ الأمة على تقديم مصالحها المادية والشخصية على واجب ديني وإنساني عظيم. هذا التوبيخ يساهم في بناء وعي فكري يدرك أن القوة والمال يجب أن تكون في خدمة نصرة الحق ورفع الظلم، لا في خدمة الملذات أو التكديس دون غاية نبيلة.

و كلام ابن العربي الذي يؤيده القرطبي، بأن "الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة"، يرسخ مبدأ الولاء الإيماني الذي هو جزء أصيل من الأمن الفكري، و التهاون في نصرة المستضعف المسلم قد يؤدي إلى اهتزاز هذا المبدأ، وبالتالي تراجع الولاء للمؤمنين وتذبذب الفكر تجاه المفاهيم الشرعية الأساسية.

٢. الأمن المجتمعي: ضمان التماسك والردع الخارجي:

فرض نصرة المستضعفين بـ"النفير أو المال لاستنقاذهم" يدل على أن المجتمع الإسلامي يجب أن يكون بنية متكاملة متكافلة، و هذه النصرة لا تقتصر على الأفراد، بل هي واجب على الأمة كلها ككيان واحد. هذا التكافل يضمن الأمن المجتمعي من خلال بناء مجتمع متراحم وقوي، حيث يشعر كل فرد فيه بأنه جزء من منظومة تحميه وتدافع عنه.

وعندما يذكر ابن العربي ضرورة "الخروج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم"، فإن هذا يعكس أهمية الجهوزية والقدرة على ردع العدو وحماية أبناء الأمة، و تقاعس الأمة عن نصرة أسراها ومستضعفيها يرسل رسالة ضعف للعدو، ويشجعه على المزيد من الاعتداءات، مما يهدد الأمن القومي والوجودي للمجتمع.

و التحذير من "نقض العهد" مع الكفار الذين بيننا وبينهم ميثاق، يؤكد على مبدأ الوفاء بالعهود، وهو ركيزة أساسية للأمن المجتمعي. فالمجتمع الذي لا يلتزم بمواثيقه، حتى مع غير المسلمين، يُحدث فوضى وعدم ثقة، ويفتح الباب للظلم والاضطراب.

باختصار، يركز القرطبي هنا على أن التقاعس عن واجب نصرة المستضعفين هو خذلان للدين والمبادئ، ويؤدي إلى زعزعة الأمن الفكري بتشويه أولويات الأمة، ويهدد الأمن المجتمعي بإضعاف التكافل وهيبة الأمة أمام أعدائها. كلامه يمثل صرخة تحذير من التراخي الذي يدفع ثمنه الأفراد والمجتمعات.

وُيبرز تفسير القرطبي لهذه الآيات نقطة محورية في علاقته بالأمن المجتمعي، وهي ربط الفرائض الدينية كـ(الجهاد) بمصير الأمة وسلامتها. يوضح القرطبي ببراعة كيف أن فهم هذه العلاقة يعزز الأمن على المستويين الآتيين خلال الفرع القادم:

الفرع الثالث: أثر ذلك على تصحيح المفاهيم وتعميق الإيمان، ضمان بقاء الأمة وكرامتها.

١. الأمن الفكري: تصحيح المفاهيم وتعميق الإيمان:

يؤكد القرطبي على أن "عسى" من الله هي "إيجاب"، مما يدل على أن الأمر بالقتال، رغم كراهته الطبيعية للنفس، يحمل في طياته الخير العظيم. هذا يعزز الأمن الفكري من خلال ترسيخ فكرة أن أحكام الله ليست مجرد تكاليف، بل هي ضمانات للخير والنجاة، حتى لو بدت صعبة في ظاهرها. إنه يصحح النظرة السطحية للفرائض الدينية.

و يوضح القرطبي أن الخير في الجهاد يتمثل في "الغلَبَة، والظفَر، والغنيمة، والأجر"، وأن الموت فيه هو "شهادة". في المقابل، يصف ترك القتال بـ"الذلة" و"ذهاب الأمر". هذا الربط الواضح بين العمل والجزاء، والسلوك ونتائجه، يبني حصانة فكرية ضد الشبهات أو التردد في طاعة الله، ويدفع نحو الإيمان بأثر الأفعال في الدنيا والآخرة.

و يذكر القرطبي قول الحسن: "لا تكرهوا الملمات الواقعة[٤٧]، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أمر تحبه فيه عطبك"، وهو يؤكد على مبدأ أساسي في الأمن الفكري: أن الله

---

[٤٧] **عبارة "الملمات الواقعة" تعني الشدائد، المصائب، والنوازل التي تحل بالناس أو بالمجتمعات وتحدث بالفعل. هي تعبير عن الأحداث الصعبة والأزمات التي تقع حقيقةً وتُلقي بظلالها السلبية، والملمات: هي جمع "ملمة"، وتعني النازلة أو الشدة أو المصيبة التي تصيب الإنسان أو القوم، والواقعة: تعني**

يعلم وأنتم لا تعلمون. هذا يعلم الإنسان التسليم لحكمة الله حتى فيما يبدو صعبًا أو مكروهًا، ويحمي العقل من التمرد أو اليأس أمام الشدائد، لأن النجاة قد تكون كامنة فيها.

٢. الأمن المجتمعي: ضمان بقاء الأمة وكرامتها:

و يعرض القرطبي مثالًا حيًا ومؤلمًا من واقع الأندلس، حيث أدى "ترك الجهاد والجبن عن القتال والإكثار من الفرار" إلى "استيلاء العدو على البلاد، وأسر وقتل وسبى واسترق". هذه النتيجة الكارثية هي دليل قاطع على أن ترك فريضة الجهاد، التي هي درع الأمة، يؤدي إلى انهيار الأمن المجتمعي الكامل من خلال فقدان السيادة، والذلة، والتشريد، والاسترقاق.

وقوله "فإنا لله وإنا إليه راجعون! ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته!" يُشير إلى مسؤولية المجتمع عن مصيره. هو اعتراف بأن النكسات المجتمعية لا تأتي من فراغ، بل هي نتيجة لتقصير الأفراد في أداء ما عليهم من واجبات جماعية كالجهاد، مما يمس الأمن القومي والوجودي للأمة.

ومن خلال هذا التفسير، يربط القرطبي بوضوح بين التمسك بقيم الإسلام الأساسية (كالجهاد) وبين تحقيق الأمن المجتمعي، ويحذر من التهاون فيها، فالدعة وترك القتال يؤديان إلى ضعف الأمة وذهاب قوتها، وبالتالي تعريضها لمخاطر الذل والاحتلال، مما يهدم كل أشكال الأمن فيها.

باختصار، كلام القرطبي ليس مجرد تفسير لآية، بل هو رؤية متكاملة تربط بين الفريضة الشرعية والنتائج المحسوسة على حياة الأفراد والمجتمعات. إنه يرسخ أهمية الالتزام بمنهج الله للحفاظ على الأمن الفكري من خلال تصحيح المفاهيم وتعميق الإيمان، وعلى الأمن المجتمعي من خلال حفظ الكرامة، والسيادة، والوجود.

الحاصلة أو التي حدثت بالفعل، وهو ما يؤكد وقوع هذه المصائب وليس مجرد توقعها. راجع: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٤، ٢٠٠٤، ص٨٧٥ (بتصرف).

المطلب الخامس

استرجاع الإمام القرطبي عند الفساد الاقتصادي والمالي

الفرع الأول: موضع الاسترجاع.

قوله تعالي: **(وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۚ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُم آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)** [٤٨].

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (رأيت ليلة أسري بي خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ولا شي إلا خرقته فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا مثل لقوم من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه (– ثم تلا–" ولا تقعدوا بكل صراط توعدون" الآية. وقد مضى القول في اللصوص والمحاربين، والحمد لله. وقال السدي أيضا: كانوا عشارين متقبلين. ومثلهم اليوم هؤلاء المكاسون الذين يأخذون ما لا يلزمهم شرعا من الوظائف المالية بالقهر والجبر، فضمنوا ما لا يجوز ضمان أصله من الزكاة والمواريث والملاهي. والمترتبون في الطرق إلى غير ذلك مما قد كثر في الوجود وعمل به في سائر البلاد. وهو من أعظم الذنوب وأكبرها وأفحشها، فإنه غصب وظلم وعسف على الناس وإذاعة للمنكر وعمل به ودوام عليه وإقرار له، وأعظمه تضمين الشرع والحكم للقضاء، فإنا لله وإنا إليه راجعون! لم يبق من الإسلام إلا رسمه، ولا من الدين إلا اسمه. يعضد هذا التأويل ما تقدم من النهي في شأن المال في الموازين والأكيال والبخس[٤٩].

---

[٤٨] **سورة الأعراف (٨٥–٨٧).**

[٤٩] **المكاسين هم جباة المكوس، والمكس هو الضريبة أو العُشر الذي كان يؤخذ من الباعة في الأسواق، أو من التجّار على بضائعهم. وغالبًا ما كان هذا المكس يُعتبر جباية غير شرعية في الفقه الإسلامي، أو على الأقل كان يُنظر إليه بنوع من التحفظ الشديد إذا لم يكن هناك مسوّغ شرعي واضح**

الفرع الثاني: مدى تحذير القرطبي من الفساد الاقتصادي والمالي وأثره على الأمن المجتمعي

في تفسير الآيات السابقة، يُبيّن الإمام القرطبي بوضوح العلاقة بين الفساد المالي والاقتصادي وبين تهديد الأمن المجتمعي. يتجلى ربطه لذلك من عدة جوانب:

١. الأمن الفكري: تصحيح المفاهيم وتعميق الوعي بالعدالة:

القرطبي يؤكد على أوامر الله لشعيب عليه السلام: "أوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم". هذا يرسخ في الفكر الإسلامي مبدأ العدل في المعاملات المالية، وأن أي تلاعب فيها هو خرق لأمر إلهي، وتعزيز هذا المفهوم يحمي الفكر من تبرير الغش والاحتيال والاستغلال، ويؤسس لوعي قائم على النزاهة.

وتشبيه القرطبي لـ"المكاسين[٥٠]" (الذين يأخذون ما لا يلزمهم شرعاً بالقهر والجبر) بـ"اللصوص والمحاربين"، وقوله عن أفعالهم إنها "غصب وظلم وعسف على الناس وإذاعة للمنكر وعمل به ودوام عليه وإقرار له، وأعظمه تضمين الشرع والحكم للقضاء"، يكشف عن انحراف فكري خطير. هؤلاء يخلطون الدين بالدنيا، ويستغلون السلطة أو النفوذ لتحقيق مكاسب غير مشروعة، والقرطبي يفضح هذا التزييف، ويحصن الفكر من الوقوع في فخ التساهل مع الفساد المالي باسم الدين أو القانون.

وقول القرطبي "فإنا لله وإنا إليه راجعون! لم يبق من الإسلام إلا رسمه، ولا من الدين إلا اسمه" يعكس قلقه البالغ من تآكل جوهر الدين بسبب شيوع هذه الممارسات. هذا التعبير يحفز الفكر على استشعار خطورة الابتعاد عن جوهر تعاليم الإسلام، وهو العدل، ويُنبّه إلى أن مجرد التسمي بالإسلام دون تطبيق مبادئه يُفقد الهوية الدينية معناها وقوتها، وهذا تهديد مباشر للأمن الفكري للأمة.

٢. الأمن المجتمعي: حماية الاستقرار والتماسك الاجتماعي:

أوامر "أوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم" هي أسس الأمن الاقتصادي للأفراد والمجتمع، وعندما يُبخس الناس حقوقهم أو يتعرضون للغصب، فإن ذلك يُفقد الأفراد

لأخذه. راجع: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٤، ٢٠٠٤، ص٨٤١، (مادة: م ك س).

[٥٠] سورة الأعراف (٨٥-٨٧).

الأمان على أموالهم وممتلكاتهم، ويُولد شعورًا بالظلم والقهر، مما يُهدد استقرار المجتمع وسلامه.

وتشبيه القرطبي لـ"هؤلاء المكاسين" بـ"قُعّاد الطريق" الذين "يصدون عن سبيل الله" في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وربطه ذلك بـ"الفساد في الأرض بعد إصلاحها"، يُظهر أن الفساد المالي والاقتصادي هو سبب مباشر للفوضى والتدهور المجتمعي. إنه يُعيق النمو، ويُعيق مسيرة الناس نحو الصلاح، ويُدمر الثقة بين أفراد المجتمع، مما يؤدي إلى تفككه.

ووصف القرطبي لأفعال المكاسين بأنها "غصب وظلم وعسف على الناس وإذاعة للمنكر وعمل به ودوام عليه وإقرار له" يُبرز كيف أن شيوع الفساد الاقتصادي يُفسد النظام العام، ويُشرعن الظلم، ويُضعف العدالة، مما يُفضي إلى فوضى اجتماعية وتهديد مباشر للأمن العام، و وجود "المترتبين في الطرق" كـ"عشارين[٥١]" يُعيق حركة الناس ويثير الشقاق، ويُعرّض مصالحهم للخطر.

باختصار، يُشدد القرطبي على أن الفساد المالي والاقتصادي، والتلاعب بالشرع لأجل المصالح الدنيوية، لا يُعد مجرد مخالفات فردية، بل هي تهديدات منهجية تُفكك الأمن الفكري للأفراد بخلط الحق بالباطل، وتُدمر الأمن المجتمعي بنشر الظلم، وإشاعة الفوضى، وتقويض أركان العدل.

---

[٥١] العشارون (مفردها: عشار) هم جباة العشور أو آخذو العشر. والعُشر هو ضريبة أو زكاة تُؤخذ من الأموال أو الزروع أو الثمار، أو هو جزء يُؤخذ من البضائع التي تمر على الجمارك أو نقاط التفتيش. في السياق التاريخي، خصوصًا في العصور الإسلامية، كان يُطلق على من يأخذ العُشر من التجّار على بضائعهم، وغالبًا ما كانت مهنة "العشّار" تُذكر في سياق يثير بعض التحفظات أو الانتقادات إذا كان العشر يُؤخذ بغير حق شرعي، أو كان فيه جور. راجع: المعجم الوسيط، ص ٦٠٥ (مادة: ع ش ر).

الخاتمة

أهم النتائج:

- شمولية مفهوم الاسترجاع عند القرطبي: أن "الاسترجاع" لدى الإمام القرطبي لا يقتصر على المصائب الفردية، بل يمتد ليشمل الانحرافات الكبرى التي تهدد كيان الأمة وأمنها، مما يعكس حساسيته الفائقة تجاه قضايا الأمة.
- أصالة منهج القرطبي في الربط بين الدين والواقع: إبراز قدرة القرطبي على استشراف المستقبل، وربط التحذيرات القرآنية والنبوية بالواقع الفاسد الذي عاصره، وما قد يؤول إليه حال الأمة.
- تأصيل الأمن الفكري: أن صيانة النص القرآني، وحماية العقيدة من التحريف، والالتزام بالمنهج النبوي الصحيح، هي الركائز الأساسية للأمن الفكري التي تؤدي إلى استقرار المجتمع.
- تأكيد مسؤولية الأمة عن واقعها: أن التقاعس عن فرائض مثل الجهاد، والتناحر الداخلي، وانتشار الفساد الأخلاقي، هي الأسباب الحقيقية وراء ضعف الأمة وتدهور أمنها، وليس عوامل خارجية فقط.
- أهمية الوحدة وترك التناحر: أن التزام الأمة بالمواثيق الإلهية ونبذ الفرقة والتناحر الداخلي هو صمام الأمان الذي يحمي النسيج المجتمعي من التفكك.
- الربط بين الأسباب الشرعية والنصر: أن النصر والتمكين مرهونان بتحقيق الأسباب الشرعية من صبر وتقوى وتوكل ووحدة، وأن غياب هذه الأسباب يؤدي إلى الهزيمة والضعف.

أهم التوصيات:

- دعوة المؤسسات العلمية والتربوية إلى إدراج منهج الإمام القرطبي في دراسة التحديات المعاصرة، لا سيما في مجالات الأمن الفكري والاقتصادي والاجتماعي.
- العمل على ترسيخ الفهم الشمولي للجهاد في الأمة، بما يتجاوز مفهوم القتال ليشمل كل جهد لإصلاح النفس والمجتمع.

- تفعيل دور العلماء والمؤسسات الدينية في التحذير من أشكال الفساد الاقتصادي والمالي، وبيان خطورتها على الفرد والمجتمع، استنادًا إلى التوجيهات الشرعية وفهم العلماء الربانيين.
- تشجيع البحوث والدراسات التي تستلهم رؤى الأئمة الكبار في مواجهة المشكلات المعاصرة، وتقديم حلول عملية لها.
- التأكيد على أهمية الوحدة ونبذ الفرقة بين أبناء الأمة، والتحذير من عوامل التناحر الداخلي التي تضعف الأمة وتجعلها فريسة للأعداء.

مراجع البحث

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي. الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله. أحكام القرآن. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م.
- ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. القاهرة: دار التراث للطبع والنشر، (د.ت).
- البابرتي، محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين. العناية شرح الهداية. الناشر: دار الفكر. (د.ط، د.ت).
- التركي، عبد الله بن عبد المحسن. "جريدة الجزيرة". العدد ١٢٩٤٤، ٢٠٠٨/٣/٧م، ٢٩ صفر ١٤٢٩هـ.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي. التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- الحطاب الرُّعيني المالكي. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل. الناشر: دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. مختار الصحاح. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. بيروت – صيدا: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرّزاق الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. الناشر: دار الهداية. (د.ط، د.ت).
- الزركلي، خير الدين. الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير. (عادة ما يطبع مع فيض القدير للمناوي).
- الصاوي، أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي. حاشية الصاوي على الشرح الصغير = بلغة السالك لأقرب المسالك. الناشر: دار المعارف. (د.ط، د.ت).
- العوجي، مصطفى. الأمن الاجتماعي. بيروت: مؤسسة نوفل، ١٩٨٣م.
- قلعجي، محمد رواس، وقنيبي، حامد صادق. معجم لغة الفقهاء. الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.
- المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤م.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف. التوقيف على مهمات التعاريف. القاهرة: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.
- موسوعة الفقه الإسلامي. (لم يذكر المؤلف، والناشر: بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م).
- الموسوعة الفقهية الكويتية. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت. (د.ت).
- هلال، د. علي الدين. "الأمن القومي العربي: دراسة في الأصول". مجلة شؤون عربية، تصدر عن الجامعة العربية، العدد ٣٥.